بلاده، وسيطر على موارده، وتاجر في وطنه، وقد كان يأمل منك ان تبرّ بوعدك وعهودك في الحرب الكبرى وتدعه يتمتع باستقلاله، وتعاونه على بناء ملكه، او لا تبرّ بل تترفع، على الاقل، عن التدخل في شؤونه والتلاعب بحقوقه في وطنه»؟ ويمضي على هذا النحو: «اتنتظر من الصحافي العربي الابي ان يثني عليك، ويدعو الناس اليك، وانت الذي ضيق نطاق انتشار جريدته ورفع اجور نقلها، وقطع الصلة في دائرتها الضيقة بينها وبين القرى حتى العربية منها، وجعلت لها القرى اليهودية مراكز، وعصرت كل ما في الاهالي من مادة حتى ما عادوا يملكون بدل اشتراكها، بعد ان كان القطار في عهد الاتراك يحمل مأمور بريد سيار، وكانت في المحطات كلها فروع بريدية، وكان رجال الدرك يوصلون البريد الى القرى البعيدة»[٩٣]. ولم تكن بريطانيا وحدها تحارب الكلمة فلقد عمدت فرنسا ايضاً الى منع «الكرمل» من دخول سوريا ولبنان[٩٤].

ورغم التحذيرات والتنبيهات، بقيت عملية بيع الاراضي مستمرة. واصبحت الحالة تستدعي العمل السريع «فهل يتولى سماحته او غيره دعوة بعض المفكرين لوضع مشروع العمل للجامعة، ومشروع لتأليف شركة لمشترى الاراضي فوراً»[٩٥].

ان بريطانيا بسياستها الظاهرة عازمة على دفع السكان من فلسطين لاحلال المهاجرين اليهود مكانهم، هذا ما نبه اليه نصار قبل الكارثة بثماني عشر سنة:

«ان طريقة الحكم، التي يجري عليها الانجليز في فلسطين وماجاورها، من شأنها اجلاء العرب عن اراضيهم وحرمانهم من استثمارها وتحصيل المعيشة منها... فطريقة الحكم هذه، التي تجري عليها حكومة حامي الدين المسيحي، مخالفة لمباديء الديانة المسيحية ولقرار مؤتمر المطارنة في لامبث. «فهل من مسيحي واحد في حكومة بريطانيا؟!»[٩٦].

وكما يرى صاحب «الكرمل»، فالحكومة «تمنحنا بالمجلس الاشتراعي كراسي لاننا طلاب كراسي، وتعطي اليهود الاشياء العملية كامتياز روتنبرغ، وامتياز البحر الميت واكثر المقاولات». وهو يعتقد ان طريق الخلاص لانقاذ البلاد انما يكون بالعمل للجامعة العربية، وبتأليف شركة لمشترى الاراضي، وبغرس الاشجار واستثمار الاراضي[٩٧]. على ان «مصيبة عرب فلسطين في المادة التي تقول بوضع البلاد في ظروف اقتصادية وادارية وسياسية تضمن انشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين». ومن اجل ذلك تضيق على الفلاح، وتسهل انتقال الاراض لليهود، فيجب ابطال سياسة التضييق، وحظر بيع الاراضي، وتخفيض الضرائب، وانشاء مصرف زراعي[٩٨].

لقد احس نصار بضياع فلسطين، فكتب مقالة «راحت بلادنا» جاء فيها: «تجبي [بريطانيا] اموالنا وتنفق معظمها على السياسة الصهيونية، ونحن نضرب ونحتج، تعطيهم الامتيازات وتسهل لهم مشترى الارض ونقلها من العرب اليهم، ونحن نحتج ونضرب. تجلب مهاجريهم فينازعونا على موارد الرزق في ديارنا، ونحن نضرب ونحتج. تشغل عاطليهم، تروج تجارتهم، تشجع صناعتهم، تحرمنا من حقوقنا السياسية وتعطيهم كل الحقوق، تملأ الحبوس برجالنا. ضاعت املاكنا. اكراما لله وللوطن عمل منتج يا ناس! عمل يستبقي الارض!»[٩٩].

وتزداد مخاوف نصار بعد انشاء اليهود جيشاً تحت سمع وبصر بريطانيا، فيتساءل قائلا: «ماذا عملت [بريطانيا]؟ هل حلته؟ هل حاكمت مهربي السلاح؟! العرب لا يطمئنون لهذه السياسة، الا اذ حلت هذه الفرقة وطوردت وحوكم مهربو الاسلحة ورأوا ان الحكومة لا تكيل بكيلين. ان العرب اذا لم ينتبهوا ويعملوا لجامعتهم، وينبهوا الحكومة الانجليزية اما لدفع هذا الخطر واما لتركهم يتقونه بانفسهم، لا يكونون بشرا»[١٠٠].

وتأتي انباء بيع عائلة عبد الهادي لمزرعة زرعين صدمة قوية لنصار، لاسيما ان هذه العائلة من العائلات ذات المكانه ومنها كثيرون تصدروا العمل السياسي.

فيقول: «فاليوم يا ابناء الامراء والكبراء، اذا كانت فداحة الضرائب تضطركم الى هذه